مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٥

الأمومة كرمز كتابي

نيافة أنبا هرمينا

الأمومة كرمز كتابي

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

تمهيد:

يستخدم اللاهوتيّون اللفظ اليوناني τύπος للدلالة على أكثر أنواع الرمزيَّة أصالة الواردة في لغة الكتاب المُقدَّس، وهي **الصور المُسبَّقة**، والتي تعني «مثال ـ نموذج ـ صورة ـ إشارة ـ رمز». وللهدف نفسه تستعمل الأسفار المُقدَّسة ألفاظًا أخرى كثيرة تعبيرًا عن معانٍ متقاربة، مثل: ἀντίτυπον بمعنى «شبه ـ نموذج»[١]، ὑπόδειγμα وهي أيضًا بمعنى «شبه ـ مِثال»[٢]، σκιά بمعنى «ظل»[٣]، παραβολή بمعنى «مَثَل ـ مَثَال ـ رمز»[٤]. ولكن غالبًا ما تتميَّز كل من هذه الكلمات المتقاربة بخاصيَّة معيَّنة تُقرِّبها من معنى النموذج أو المثال[٥].

إن لغة الكتاب المُقدَّس كثيرًا ما تلجأ إلى الأسلوب الرمزي لتُبيِّن وتُوضِّح بسهولة التصوُّرات الرئيسة التي تنبع منها تلك الرموز. فكُتَّاب الأسفار المُقدَّسة أمام الصعوبة القائمة في الكلام بأسلوب واقعي عن الله، الذي لم يكن ليسمح بأن يُمثَّل تمثيلاً حسّيًّا[٦]، كان عليهم أن يلجأوا إلى وصف حقائق الحياة الإلهيَّة، انطلاقًا من الحقائق الأرضيَّة، واستخدام أوصاف رمزيَّة لوصف الصفات الإلهيَّة. فالرمز هو وسيلة إيضاح للتعبير عن حقائق خفيَّة باستخدام

[١] انظر: عب٩: ٢٤

[٢] انظر: يو١٣: ١٥؛ عب٨: ٥

[٣] انظر: كو٢: ١٧

[٤] انظر: مر٣: ٢٣؛ عب٩: ٩

[5] James Strong, LL.D., S.T.D., *The New Strong`s Expanded Dictionary of Bible words (NT),* (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 2001), pp. 965,1429,1368,1287.

[٦] انظر: خر٢٠: ٤

كلمات لها معانٍ حرفيَّة واضحة. فالرمز هو ما يقف بديلاً عن المرموز إليه أو يحلّ محلَّه أو يُمثِّله بسبب علاقة مُعيَّنة بينهما، أو مُرافقة، أو لعُرفٍ سائد، أو تشابه عَرَضي، خاصةً إذا كان الرمز هو رمزٌ مرئيٌّ ملموس يرمز إلى فكرةٍ أو معنىً مُجرَّد[٧]. وهو ما استخدمه الأنبياء قديمًا بإرشاد الروح القدس، لذلك يقول الرب على لسان هوشع النبي: «وكلَّمت الأنبياء وكثَّرت الرؤى وبيد الأنبياء **مثَّلت أمثالاً**» (هو١٢: ١٠). ومن بين العديد من الرموز الكتابيَّة التي تحويها أسفار الكتاب المُقدَّس، سوف ندرس خلال السطور القادمة الأمومة، وما ترمز إليه.

مكانة الأم في الكتاب المُقدَّس:

لم تكن النظرة العامة للمرأة قديمًا مُنصِفة، فكان الرجل في المجتمع اليهودي يحتلُّ قمة الهرم الاجتماعي، ثم يأتي بعد ذلك العبد ثم المرأة ثم الطفل، حتى إنَّ المرأة لم تكن تدخل في إحصاء الشعب[٨]. بل إنَّ الفريسي كان يشكر الله في صلاته على أنه لم يخلقه امرأة. غير أنَّ ذلك كان على خلاف الحقيقة الكتابيَّة التي ساوت المرأة بالرجل في أنها قد خُلقَت على صورة الله ومثاله تمامًا مثل الرجل: «نعمل الإنسان [رجلاً وامرأة] على صورتنا كشبهنا» (تك١: ٢٦). فالمرأة في الكتاب المُقدَّس هي على نفس المستوى الاجتماعي للرجل، بل كثيرًا ما شغلنَّ مراكز قياديَّة[٩].

أمّا بالنسبة للأم ـ אֵם (إ م) بالعبريَّة و μήτηρ باليونانيَّة ـ فنجد لها موضعًا مُميَّزًا ومنزلة رفيعة في الكتاب المُقدَّس. فالأم إذ تُعطي الحياة، جعل ذلك آدم يدعو امرأته: «حواء» חַוָּה (حَ وَّ ا) «لأنها أم كل حي» (تك٣: ٢٠). فاسم حواء في العبرية يعني «مانحة الحياة»Life-giver[١٠]. وفي زمن الآباء البطاركة،

---

[7] Merriam-Webster, *Merriam-Webster's Collegiate Dictionary*. (CD-Rom). Springfield, Mass.: Merriam-Webster, 2003.

[٨] انظر: مت١٥: ٣٨

[٩] انظر: خر١٥: ٢٠؛ قض٤: ٤؛ ٢مل٢٢: ١٤

[10] James Strong, LL.D., S.T.D., *The New Strong`s Expanded Dictionary of Bible words (OT)*. (Nashville: Thomas Nelson Publishers, 2001), 454.

إبراهيم واسحق ويعقوب، نجد أنَّ للأم مكانة بارزة، فعند زواج رفقة، يبدو أنه كان لأمّها رأيٌّ في ذلك مع أبيها بتوئيل وأخيها لابان[١١]. كما يذكر لنا الكتاب مدى تعلُّق اسحق بسارة أمّه، فلم يتعزَّ بعد موتها إلاّ عندما تزوَّج برفقة، فيقول الكتاب: «فأدخلها اسحق إلى خباء سارة أمّه وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها **فتعزَّى اسحق بعد موت أمّه**» (تك٢٤: ٦٧). كما نجد أيضًا مدى تأثير رفقة على ابنها يعقوب[١٢]. وفي الوصايا العشر نجد أن الوصية الخامسة، وهي أول وصية تُنظِّم علاقة الإنسان بالإنسان، تؤكِّد على وجوب إكرام الأب والأم[١٣]، بل كانت عقوبة القتل هي مصير مَن تسوّل له نفسه أن يشتم أباه وأمّه[١٤]، أو يتمرَّد عليهما فلا يسمع لقول أبيه ولا قول أمّه[١٥]، فكان التشديد على بني إسرائيل بأن «تهابون كل إنسان أمّه وأباه» (لا١٩: ٣).

وفي أسفار الحكمة نجد تشديدًا قويًّا على احترام وطاعة الأم، فيقول الحكيم: «اسمع يا ابني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمّك. لأنهما إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك» (أم١: ٨ ـ ٩)، «العين المُستهزئة بأبيها والمُحتقِرة إطاعة أمّها تقوِّرها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر» (أم٣٠: ١٧). ويقول يشوع بن سيراخ: «من احترم أمّه فهو كمُدَّخِر الكنوز» (سي٣: ٥)، ويضيف: «مَن غاظ أمّه فهو ملعون من الرب» (سي٣: ١٨). وفي سفر طوبيا نجد وصيَّة طوبيا لابنه قائلاً: «أكرِم والدتك جميع أيام حياتها واذكر ما المشقّات التي عانتها لأجلك في جوفها وما كان أشدّها» (طو٤: ٣ ـ ٤).

---

[١١] انظر: تك٢٤: ٢٨، ٥٣، ٥٥

[١٢] انظر: تك٢٧: ٨، ١٣، ٤٣

[١٣] انظر: خر٢٠: ١٢؛ تث٥: ١٦

[١٤] انظر: خر٢١: ١٥، ١٧

[١٥] انظر: تث٢١: ١٨-٢١

كذلك يبدو أنَّ دورًا خاصًا كان يقع على عاتق أم الملك، التي كانت وحدها تتمتَّع، بخلاف الزوجة، بكرامة خاصة عند الملك، مثل بثشبع أم سليمان[١٦]، ومعكة أم آسا الملك[١٧].

وفي العهد الجديد نجد نفس التشديد على احترام وطاعة الأم. فالسيد المسيح قد وبَّخ الفريسيين الذين كانوا يتعدَّون وصية الله بسبب تقليد عقيم واهٍ، قائلاً: «فإن الله أوصَى قائلاً أكرِم أباك وأمّك ومَن يشتم أبًا أو أمًّا فليمت موتًا. وأمّا أنتم فتقولون مَن قال لأبيه أو أمّه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يُكرِم أباه أو أمّه. فقد أبطلتم وصيَّة الله بسبب تقليدكم» (مت١٥: ٤ ـ ٦). وهو ما يؤكِّد عليه أيضًا بولس الرسول في رسائله: «أكرِم أباك وأمّك التي هي أول وصيَّة بوعد. لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض» (أف٦: ٢ ـ ٣). كما يؤكِّد على دور الأم الهام في تلقين الإيمان لأبنائها، كما لقَّنته لوئيس لابنتها افنيكي، أمّ تيموثاوس، والتي بدورها لقَّنته له[١٨]. كذلك يُطالب بولس الرسول الرعاة بمعاملة العجائز «كأمّهات»[١٩]، وهو ما يفعله هو ذاته، فيقول في رسالته إلى أهل رومية: «سلّموا على روفُس المختار في الرب **وعلى أمّه أمّي**» (رو١٦: ١٣).

أمّا أعظم مثال للأمومة، فهي العذراء مريم أمّ الله، التي استحقَّت تلك المكانة العظيمة لطاعتها لله وإيمانها به[٢٠]، الذي كشف عنه الرب يسوع وأكَّد على خضوع العذراء مريم لمشيئة الله حينما قال: «أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو٨: ٢١)، وحينما رفعت امرأة صوتها وطوّبت العذراء مريم لأنها أمّه بالجسد، شرح لها أنَّ مكانتها هذه التي وصلت إليها ليست بسبب أنها أمّه بالجسد فقط، بل لأنها تسمع وتحفظ كلام

---

[١٦] انظر: ١مل٢: ١٩-٢٠

[١٧] انظر: ١مل١٥: ١٣

[١٨] انظر: ٢تي١: ٥

[١٩] انظر: ١تي٥: ٢

[٢٠] انظر: لو١: ٣٨، ٤٥

اللّه[٢١]. فصارت لنا مثالاً للخضوع لمشيئة اللّه، الذي إن سلكنا به، لا يستحي السيد المسيح حينئذٍ أن يدعونا إخوته[٢٢]. لذلك صار الكلمة المُتجسِّد في المقابل خاضعًا لها لأنها أمّه[٢٣]، ويظهر هذا الخضوع وطاعته لها في واقعة عرس قانا الجليل، الذي برغم أن ساعته لم تأتِ بعد[٢٤]، ولكن إكرامًا لأمّه قام بتحويل الماء خمرًا. وعندما أراد الرب يسوع توسيع دائرة الأمومة الروحية للعذراء مريم لتشمل المؤمنين جميعًا، قام بتسليمها ليوحنا الحبيب وهو على الصليب قائلاً له: «هوذا أمّك» (يو١٩: ٢٧)، فصرنا نحن أيضًا في شخص يوحنا أبناءً لها.

ولكن برغم هذا التشديد على طاعة الأم وتبجيلها، إلاّ أن السيد المسيح قد وضع حدًّا لتلك الطاعة حينما تتعارض مع حب اللّه وطاعته، فيقول: «مَن أحب أبًا أو أمًّا أكثر مني فلا يستحقني» (مت١٠: ٣٧)، ويَعِد كل مَن ترك أبًا أو أمًّا من أجل اسمه، أن «يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت١٩: ٢٩). وهو ما أكَّد عليه أيضًا بولس الرسول، حينما ربط طاعة الوالدين بطاعة الرب، فيقول: «أيها الأولاد أطيعوا والديكم **في الرب** لأن هذا حق» (أف٦: ١).

شهوة الأمومة في العهد القديم:

برغم أن الأمومة ترتبط بالعقوبة التي وقعت على حواء من قِبَل الرب حينما كسرت مع آدم الوصيَّة، قائلاً لها: «تكثيرًا أكثِّر أتعاب حَبَلِك بالوجع تلدين أولادًا» (تك٣: ١٦)، إلاّ أن الأمومة كانت مُشتهَى كل امرأة على الأرض، وخاصةً عندما أعطى اللّه رجاءً للإنسان بأن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحيَّة[٢٥]. لذلك فرحت حواء بأول مولود لها واسمته «قايين» قائلةً: «اقتنيت

---

[٢١] انظر: لو ١١: ٢٧-٢٨

[٢٢] انظر: عب٢: ١١

[٢٣] انظر: لو ٢: ٥١

[٢٤] انظر: يو ٢: ٤

[٢٥] انظر: تك٣: ١٥

رجلاً من عند الرب» (تك٤: ١). وعندما ولدت مولودًا آخر اسمته «شيث»، وقالت: «لأن الله قد وضع لي نسلاً آخر عوضًا عن هابيل. لأن قايين كان قد قتله» (تك٤: ٢٥).

كما لجأت سارة إلى حلٍّ بشريٍّ لإقامة نسل لزوجها إبراهيم من جاريتها هاجر عندما رأت أنَّ الله قد أمسكها عن الولادة[٢٦]. وعندما افتقد الرب سارة وولدت اسحق قالت: «قد صنع إليَّ الله ضحكًا. كل مَن يسمع يضحك لي» (تك٢١: ٦). كذلك صلَّى اسحق إلى الرب لأجل امرأته رفقة لأنها كانت عاقرًا، فاستجاب الرب له فحبلت وولدت عيسو ويعقوب[٢٧]. وعندما رأت راحيل زوجة يعقوب أنَّ الرب قد فتح رَحِم أختها ليئة أمّا هي فظلَّت عاقرًا، غارت من أختها وقالت ليعقوب: «هَب لي بنين وإلاّ فأنا أموت» (تك٣٠: ١). ولكن بعد ذلك «ذكر الله راحيل وسمع لها الله وفتح رَحِمها. فحَبَلَت وولدت ابنًا. فقالت قد **نزع الله عاري**» (تك٣٠: ٢٢ ـ ٢٣).

فالمرأة العاقر في العهد القديم كانت عارًا بين شعبها. بل كانت المرأة العاقر وسط شعبها علامة على غضب الرب وتأديبه، في حين أنَّ علامة رضا الرب عن شعبه كانت كثرة الأولاد، لذلك يقول موسى النبي لشعب إسرائيل: «ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذيْن أقسم لآبائك. **ويُحبَّك ويُباركك ويُكثرك ويُبارك ثمرة بطنك ... لا يكون عقيم ولا عاقر فيك** ...» (تث٧: ١٢ ـ ١٤). كما يقول المُرنِّم: «المُسكِن العاقر في بيتٍ أمّ أولاد فرحانة» (مز١١٣: ٩).

لذلك فإن حَنّة امرأة ألقانة التي «كان الرب قد أغلق رَحِمها» (١صم١: ٥)، يقول عنها الكتاب: «فقامت حَنّة ... وهي مُرَّة النفس. فصلَّت إلى الرب وبكت بكاءً ونذرت نذرًا وقالت: يا رب الجنود إن نظرت نظرًا إلى مذلَّة أمَتَك وذكرتني ولم تنس أمَتَك بل أعطيت أمَتَك زرعَ بشرٍ فإنِّي أعطيه للرب كل

---

[٢٦] انظر: تك١٦: ١-٢

[٢٧] انظر: تك٢٥: ٢١

أيام حياته» (١صم١: ٩ ـ ١١)، فذكرها الرب وأعطاها ابنًا فاسمته صموئيل قائلةً: «لأني من الرب سألته» (١صم١: ٢٠).

كذلك عندما أخطأت ميكال ابنة شاول في حق داود، يقول عنها الكتاب: «لم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها» (٢صم٦: ٢٣). وهذا كان بمثابة تأديبًا قاسيًا لها. وعندما أراد هوشع النبي من الرب أن يُؤدِّب شعب إسرائيل لأجل عباداتهم الباطلة، قال: «أعطهم يا رب. ماذا تعطي. أعطهم رَحِمًا مسقطًا وثدييْن يبسيْن» (هو٩: ١٤). وعندما حَبَلَت اليصابات امرأة زكريا الكاهن قالت: «هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إليَّ **لينزع عاري بين الناس**» (لو١: ٢٥).

الأمومة كرمز كتابي:

المرأة بحُكم طبيعتها هي أكثر من الرجل تفهُّمًا وتعاطفًا وأكثر اهتمامًا بالأشخاص، وأكثر حرصًا على احتضان الحياة ورعايتها. فالأم هي من الطفل بمثابة التربة التي صدر عنها، أو الطبيعة التي انبثق منها، أو الأرض التي ترعرع فيها. يشرح ذلك **القديس باسيليوس الكبير** قائلاً:

"الله خلق المرأة بطبيعة رقيقة لكي تستطيع أن تُربِّي أولادها بسهولة ويُسْر. فلو كانت المرأة ذات طبيعة قاسيَّة لما استطاعت أن تضمّ إلى أحضانها طفلها الذي يبكي، ولما استطاعت أن تُرضِع وليدها بحنوٍّ. أحشاء الأمومة تجعلها في مرات كثيرة تطرد النوم من أجفانها، عندما تشعر بأن طفلها يعاني ولو قليلاً. إذًا لكي ينشأ الطفل نشأة صحيحة، خُلِقَت المرأة بطبيعة رقيقة حنونة ورحيمة"[٢٨].

لذلك فالأمومة ليست مجرَّد غريزة حيوانيَّة، لأن في المملكة الحيوانيَّة تبقى الأم متعلِّقة بأولادها، طالما كانوا صغارًا يحتاجون إلى رعايتها، ولكن عندما يكبرون يستقلّون عنها. أمّا لدى الإنسان فإنَّ دافع الأمومة لا يرتبط بعُمر الابن

---

[٢٨] سعيد حكيم، «المرأة واكتمال الإنسان» في *أعمال المؤتمر السنوي الـ١٣ للآبائيات*، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية: سبتمبر ٢٠٠٥)، ٧٣.

أو الابنة، بل يمتد ويقوى إلى نهاية العُمر. فحب الأم لطفلها هو ذاك الحب الذي ينتزع الشخص من ذاته وتمركزه حول ذاته، لكي يَهِب نفسه لذلك الآخر الذي أصبح يعيش من أجله. فالأمومة الصحيحة هي تلك التي تُحِب فيها الأم طفلها لذاته، لا لذاتها.

انطلاقًا من ذلك، استخدم كتَّاب الأسفار المُقدَّسة صورة الأمومة بطريقة رمزيَّة ليُشيروا إلى أقرب المعاني للمرموز إليه. ومن أكثر الأنبياء استخدامًا لصورة الأمومة كرمزٍ، سواء في صورته الإيجابيَّة أو السلبيَّة، هو إشعياء النبي. أمّا في العهد الجديد، فقد استخدمه بولس الرسول كثيرًا في رسائله.

الأمومة كرمز للأرض أصل الإنسان:

الله قد جبل آدم «ترابًا من الأرض» (تك٢: ٧)، لذلك فهي بالنسبة له أصل وجوده؛ أي أمّه. هذا جعل أيوب الصدّيق يقول: «عريانًا خرجت من **بطن أمي** وعريانًا أعود إلى **هناك**» (أي١: ٢١). فبقوله هذا يُعلِن عن عودته إلى أصله، كما يُوضِّح ذلك الجامعة في سفره قائلاً: «يرجع التراب إلى الأرض كما كان» (جا١٢: ٧). ويقول يشوع بن سيراخ: «جهد عظيم خُلِق لكل إنسان ونير ثقيل وُضِع على بني آدم من يوم خروجهم من أجواف أمّهاتهم إلى يوم دفنهم في **الأرض أمّ الجميع**» (سي٤٠: ١).

الأمومة كرمز للخصب والرخاء:

نجد ذلك واضحًا في وصف الكتاب المُقدَّس لأرض الموعد بأنها «أرض تفيض لبنًا وعسلاً» (خر٣: ١٧)، راسمًا صورة لها كأُمٍّ تُوفِّر لطفلها اللبن؛ أي الرعاية والمسؤولية والمحافظة على البقاء، إلى جانب العسل كرمزٍ لحب الحياة والتمتُّع بالوجود[٢٩]. ويظهر هذا في وصف **القديس يوحنا ذهبي الفم** للأرض، في عظةٍ له على سفر التكوين، بأنها: "مائدة طعامنا **وأُمّنا**"[٣٠].

---

[29] Erich Fromm, *The Art of Loving,* (London: Unwin Books, 1962), 40.

[٣٠] چورچ فرج، «التعليم عن الخلق عند القديس يوحنا ذهبي الفم» في *أعمال المؤتمر السنوي الـ١٧ للآبائيات*، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية: ٢٠٠٩)، ١٢٠.

كما يشير الكتاب في عدة مواضع إلى خيرات الطبيعة بأحشاء الأم، فنجد يعقوب إسرائيل يبارك ابنه يوسف قائلاً: «مِن إله أبيك الذي يعينك ومِن القادر على كل شيء الذي يباركك تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت. **بركات الثدييْن والرَحِم**» (تك٤٩: ٢٥). أمّا إشعياء النبي فيقول: «ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك وبرَّك كلجج البحر. وكان كالرمل نسلك وذريَّة أحشائك **كأحشائه** لا ينقطع ولا يباد اسمه من أمامي» (إش٤٨: ١٨ ـ ١٩). وفي موضع آخر يقول: «كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض **ويجعلانها تلد** وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للآكل ... » (إش٥٥: ١٠).

الأمومة كرمز لحمل مسئوليَّة الخدمة:

حب الأم هو أعلى صورة من صور الحب، فإنه يقوم في صميمه على الرعاية والمسؤوليَّة. فالإنسان يُحِب مَن يعمل من أجله، ويعمل من أجل مَن يُحِب. وهو ما نراه في الأم التي تُحِب طفلها فتعمل من أجله، وتأخذ على عاتقها مسؤوليَّة وجوده ونموه وترقّيه. تلك الصورة كانت في فكر موسى النبي عندما قال للرب: «لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى إنَّك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ. **ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلي ولدته** حتى تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المُربِّي الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه» (عد١١: ١٢).

كذلك كانت تلك الصورة ماثلة أمام بولس الرسول أثناء كتابته لرسائله، مُدركًا عِظَم المسئوليَّة التي على عاتقه لحمل كلمة الخلاص ورسالة الإنجيل إلى الأمم. فنجده يقول لأهل كورنثوس: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون **لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل**» (١كو٤: ١٥). ولأهل غلاطية يقول: «يا أولادي الذين **أتمخَّض بكم** أيضًا إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل٤: ١٩). كما يقول لأهل تسالونيكي: «بل كنَّا مترفقين في وسطكم **كما تُربِّي المرضعة أولادها**. هكذا إذ كنَّا حانين إليكم كنَّا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل

أنفسنا أيضًا لأنكم صرتم محبوبين إلينا» (١تس٢: ٧ ـ ٨). وفي رسالته إلى تلميذه فليمون، يقول عن أنسيمس: «أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس **الذي ولدته في قيودي** ... الذي رددته فاقبله الذي هو **أحشائي**» (فل ١٠، ١٢).

يُعلِّق على ذلك **القديس يوحنا ذهبي الفم**، في تفسيره لـ (١كو٤: ١٥)، قائلاً:

"إنه لم يقُل: «بشَّرتكم بالكلمة»، ولكنه قال: «ولدتكم» (١كو٤: ١٥)؛ مُستخدِمًا مصطلحات العلاقات الطبيعية. لأن إظهار اهتمامه بهم في هذه اللحظة، يكشف عن عِظَم حبه الذي يكنُّه لهم"[٣١].

وفي تفسيره لـ (غل٤: ١٩) يقول:

"لاحِظوا حيرته وانزعاجه، «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم» (غل٤: ١٩). إنه يشبه أُمًّا ترتجف على أولادها. «إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم»؛ انظروا إلى حنانه الوالدي، انظروا إلى هذه الحالة من الأسى الشديد اللائق برسول. لاحِظوا كيف ينتحب، بأكثر حِدّة من امرأة تتمخَّض، قائلاً: «لقد أفسدتم المثال، لقد نقضتم صلة القرابة، لقد غيَّرتم الصورة، إنكم في حاجة إلى تجديدكم وإعادة خلقتكم»"[٣٢].

وفي تفسيره لـ (١تس٢: ٧) يقول:

"«كما تُربِّي المرضعة أولادها» (١تس٢: ٧)؛ هذا ما يجب أن يكون عليه المُعلِّمون. فهل المرضعة تقوم بالتملُّق لتحصل على مجدٍ؟ هل تبغي مالاً من أطفالها؟ هل هي تقوم بإزعاجهم أو إتعابهم؟ أليس هم [المُعلِّمون] أكثر تسامحًا معهم من أمهاتهم؟ إنه يُعلِن هنا عن حنانه البالغ قائلاً: «هكذا إذ كنَّا حانين إليكم كنَّا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل اللّه فقط بل أنفسنا أيضًا» (١تس٢: ٨)"[٣٣].

---

[31] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit. by: Schaff, Philip, First Series, Vol. XII, *Homily XIII on First Corinthians*, (Oak Harbor: 1997), 74.
[32] Ibid., Vol. XIII, *Commentary on the Epistle of St. Paul to the Galatians*, 32.
[33] Ibid., *Homily II on First Thessalonians*, 330.

الأمومة كرمز للعناية الإلهيَّة:

لا يستطيع تشبيه واحد أن يُقدِّم صورة صادقة عن حب الله لنا نحن أولاده. لهذا استخدم الكتاب تشبيهات كثيرة لعلّها تكشف لنا نصيبًا من هذا الحب الإلهي غير المنطوق به. لذلك يقول الرب لشعبه: «اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكل بقيَّة بيت إسرائيل المحملين عليَّ من البطن المحمولين من الرَحِم. وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجِّي. **بمن تشبهونني وتسوونني و تمثلونني لنتشابه**» (إش٤٦: ٣ ـ ٥). فما يُقال عن الله من خلال مصطلحات بشريَّة، فهو يُقال بطريقة رمزيَّة مع أنه يحمل معنىً أعلى، حيث إنَّ ما هو إلهي هو بسيط وبلا شكل. فكل ما قيل عن الله بمصطلحات جسديَّة، باستثناء ما قيل عن كلمة الله المُتجسِّد، فهو يحتوي على بعض المعاني التي تُعلِّمنا أشياءً تفوق طبيعتنا. يقول عن ذلك **القديس يوحنا ذهبي الفم:**

"يكشف لنا الكتاب المُقدَّس عن هذا الحب ويقارنه بحب البشر، موضِّحًا حب الله الساهر وعنايته بنا بأمثلة كثيرة ... لا لنقف عند حدود الأمثلة وإنما ليدفعنا ذلك إلى أن نتعدّاها أثناء تأمُّلنا لها. إنه لم يُقدِّمها كبراهين كافية على محبته، بل كأشياء معلومة جيِّدًا لمن يفهمونها، وكأمثلة قادرة أكثر من أي شيءٍ آخر على إظهار حبه لنا"[٣٤].

ومن هذه التشبيهات، تشبيه عناية الله لنا بالأم التي تعتني بطفلها. فلو شئنا أن نجد وصفًا دقيقًا لحب الأم، لكان في وسعنا أن نقول إنه حب غير مشروط يقوم على العطاء أكثر مما يقوم على الأخذ. فحب الأم لطفلها لا يتوقَّف على بعض الشروط التي لابد له من تحقيقها ليظفر بحبها. هو حب غير مشروط لأنه ينصبُّ على «وجود» الطفل وليس على «سلوكه». فالإنسان يريد أن يكون محبوبًا لذاته لا لسبب ما يتمتَّع به من صفات، لأنه حينما يكون محبوبًا من

[٣٤] تادرس يعقوب ملطي وآخرون، *من كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم: العناية الإلهيَّة*، (الإسكندرية: كنيسة مار جرجس باسبورتنج، ٢٠٠٧)، ١٠٥.

شخصٍ ما، لِما يتمتع به من مزايا أو ما يتَّصِف به من صفات، فإن هذا الشخص عندئذٍ إنما يُحِب «صفاته» ولا يُحِبه لذاته.

هكذا هو حب الله للإنسان، هو حب غير مشروط، وهو ما يُعبِّر عنه الرب بقوله: «أحبهم فضلاً» (هو١٤: ٤). وكذلك عنايته الإلهيَّة هي دون شروط مُسبَّقة من جانب الإنسان. لهذا يقول السيد المسيح، عن الآب السماوي: «... إنه يُشرِق شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطِر على الأبرار والظالمين» (مت٥: ٤٥).

يرسم إشعياء النبي تلك الصورة بوضوح تام، عندما يقول: «وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني. هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ» (إش٤٩: ١٤ ـ ١٥). يشرح ذلك **القديس يوحنا ذهبي الفم** قائلاً:

"إنَّ بعض الذين تضايقوا مرَّة وتأوّهوا قائلين: «قد تركني الرب وسيدي نسيني»، يجاوبهم إشعياء النبي قائلاً: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك». وكأنه يقول: يستحيل على الأم أن تنسى رضيعها، فبالأولى لا ينسى الرب جنس البشر ... استخدم النبي هذه المقارنة، ليس بقصد تشبيه حب الله لنا بحب الأم لثمرة بطنها، وإنما لأن حب الأم يفوق كل حب، غير أنَّ حب الله حتمًا أعظم منه، فإنه أضاف قوله: «حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك»"[٣٥].

فإنَّ عناية الله تحتضن الكون كله والبشريَّة كلها، كما تحتضن كل إنسان شخصيًّا. وهذا ما يتغنَّى به المُرنِّم قائلاً: «لأنك أنت جذبتني من البطن جعلتني مُطمئنًّا على ثديي أمي. عليك ألقيت من الرَحِم من بطن أمي أنت إلهي» (مز٢٢: ٩ ـ ١٠). وبالرغم من وجود بعض الحالات التي فيها تتعرَّى الأم من أمومتها، كما يظهر ذلك في صرخة إرميا النبي في مرثاته قائلاً: «أيادي النساء الحنائن طبخت أولادهنَّ صاروا طعامًا لهنَّ في سحق بنت شعبي» (مرا٤:

[٣٥] المرجع السابق.

١٠)، غير أنَّ الله يبقى أمينًا إلى الأبد. لذلك يقول المُرنِّم: «إنَّ أبي وأمي قد تركاني والرب يضمّني» (مز٢٧: ١٠). لذلك يقول **مار يعقوب السروجي**، مُقارِنًا بين عناية الأم برضيعها وعناية الله الخالق بمحبوبه الإنسان فيقول:

"يحتاج الطفل إلى المرضعة ليحيا منها، ويحتاج المخلوق إلى الخالق ليحيا به. لو تركت الأم الطفل عندما تلده، لكان من الأصلح له لو لم يُولَد منها. ورب العالم لو تركه بعد خلقه لتلاشى، وكان من الأفضل له لو لم يوجَد من البداية. إنه لا يتركه، فالمرأة لا تترك طفلها، وإن نسيته، فالله لا ينسى خليقته أبدًا" [٣٦].

وفي موضع آخر يقول إشعياء النبي: «... على الأيدي تُحمَلون وعلى الركبتيْن تُدلَّلون. كإنسان تُعزِّيه أمّه هكذا أعزِّيكم أنا» (إش٦٦: ١٣). يُعلِّق على ذلك **القديس كليمندس الإسكندري** قائلاً:

"هكذا لا يمنع الله معونته عمَّن هُم في مثل هذا العُمر من الحياة. وتمامًا مثلما يسهر كل أب وأم على الصغار بكل حنان ـ أيًّا كانوا، فالأحصنة على أمهارها، أو البقر على عجولها، أو الأسود على أشبالها، أو الغزلان على ظبائها، أو البشر على أطفالهم ـ هكذا يفعل أيضًا، أب الكل مُقتربًا من جميع هؤلاء المُلتمسين معونته، مانحًا إيّاهم ولادة جديدة وجاعلاً إيّاهم أبناءه بالتبنِّي. إنه يُعاملهم كصغارٍ له، ويُحِبهم وحدهم، ويأتي ليُعين مثل هؤلاء مُدافعًا عنهم. لهذا السبب، هو يدعوهم أطفاله" [٣٧].

الأمومة كرمز للرحمة الإلهيَّة:

لو عدنا إلى الكلمة العبريَّة التي وردت في العهد القديم، والتي تُترجَم إلى كلمة «رحمة»، للإشارة إلى حب الله وحنانه ورحمته للإنسان، نجدها كلمة רַחֲמִים (رَ ا ح مِ ي م). فالأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة هو اللفظ العبري רֶחֶם

---

[٣٦] تادرس يعقوب ملطي، *الحب الإلهي*، ط. ٢ (الإسكندرية: كنيسة مار جرجس باسبورتنج، ٢٠١٠)، ٣٠٦.

[37] *The Fathers of The Church,* Simon P. Wood, Vol. 23, Clement of Alexandria, *Christ the Educator*, First Book, (The Catholic University of America Press: 1954), 22.

(رِ ح م)، ومعناه «رَحِم». مما يدل على أن حب الأم هو المثل الأعلى لكل ما عداه من أشكال الحب[٣٨]. فعلى خلاف الأبوّة التي تقتصر أحيانًا على منح بذور الحياة، نجد الأم تحمل الجنين تسعة أشهر في أحشائها، وتشعر به يتحرَّك داخلها، فيتولَّد عن ذلك شعور قوي من الحب والحنان. لذلك اشتُقَّت كلمة الرحمة من كلمة رَحِم الأم.

من أجل ذلك يكثُر استخدام لفظ «أحشاء» في الكتاب المُقدَّس، للدلالة عن الرحمة والحنان. فعلى سبيل المثال، يقول إرميا النبي: «هل افرايم ابن عزيز لديَّ أو ولد مُسرُّ. لأني كلما تكلَّمت به اذكره بعد ذِكرًا. من أجل ذلك **حنَّت أحشائي إليه. رحمةً أرحمه يقول الرب**» (إر٣١: ٢٠). كما يقول زكريا الكاهن، مُخاطبًا ابنه يوحنا: «لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم **بأحشاء رحمة إلهنا** التي بها افتقدنا المشرق من العلاء» (لو١: ٧٨).

إنَّ مراحم الرب مُتعلِّقة بالرأفة وروح يمتلئ بأحشاء ومشاعر عظيمة، تلك التي يُظهرها نحو القديسين والخطاة على حد سواء. فرحمة الرب ومشاعر الرأفة تُمثِّلان طبيعة الله، لذلك يقول يشوع بن سيراخ: «رحمة الإنسان لقريبه أمّا رحمة الرب فلكل ذي جسد» (سي١٨: ١٢). وطبيعة الرحمة الإلهيَّة ليست مُتقطِّعة، فهي مثل قطرات المطر التي تسقط غزيرة من السماء، إنها من فوق ومن أسفل[٣٩]. كما أنَّ الرحمة الإلهيَّة لا يحدّها سوى قساوة قلب الخاطئ، الذي إن لان في أيّة لحظة، سيجد الأحضان الإلهيَّة مفتوحةً له. لذلك يقول المُرنِّم: «الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة. لا يُحاكِم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويَّت رحمته على خائفيه» (مز١٠٣: ٨ ـ ١١).

وبما إنَّ الله هو كلي الرأفة، فإنه يطالب الإنسان بأن يتشبّه به في رحمته قائلاً: «فكونوا رحماء كما أنَّ أباكم أيضًا رحيم» (لو٦: ٣٦)، مُطوِّبًا

[38] Erich Fromm, *Man for Himself,* (New York: Reinhart, 1960), 100.

[٣٩] انظر: مت٩: ٣٦؛ لو ١: ٧٢

الرحماء لأنهم سيجدون رحمة في المقابل (مت٥: ٧). لذلك يقول يشوع بن سيراخ: «كُن أبًا لليتامى وبمنزلة رجل لأمّهم. فتكون كابن العلي **وهو يحبك أكثر من أمّك**» (سي٤: ١٠ ـ ١١). لقد حمل بولس الرسول تلك الأحشاء، مُتشبِّهًا بالمسيح في رحمته وحنانه، فنجده يقول لأهل فيلبي: «فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم في **أحشاء يسوع المسيح**» (في١: ٨). وفي المقابل يطلب من المؤمنين أن يحملوا هم أيضًا تلك الأحشاء، فيقول لأهل كولوسي: «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين **أحشاء رأفات**» (كو٣: ١٢). كذلك القديس يوحنا يربط محبة الله بمحبة القريب فيقول: «وأمّا مَن كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجًا **وأغلق أحشاءه عنه** فكيف تثبت محبة الله فيه» (١يو٣: ١٧).

الأمومة كرمز للأوطان والشعوب:

يتكلَّم الكتاب المقدس كثيرًا عن مدينتي أورشليم أو السامرة مُصوِّرًا إيَّاهما بالأم التي هي بمثابة أمٍّ لشعبها الساكن فيها، مانحة إيَّاهم الغذاء والحماية. ولكن لسبب عصيانهما وعباداتهما الباطلة غضب عليهما الرب وأسلم بنيهما وبناتهما للسبي.

يتكلَّم عن ذلك حزقيال النبي قائلاً: «يا ابن آدم كان امرأتان **ابنتا أمٍّ واحدة** ... واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة اختها وكانتا لي **وولدتا بنين وبنات**. واسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهوليبة» (حز٢٣: ٢، ٤). وبرغم أنَّ شعب إسرائيل يفتخر بأنه من نسل إبراهيم، جنس مختار، إلاّ أنَّ سقوطه في خطايا الأموريين والحثيِّين، جعل الرب يقول عنه: «وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك من أرض كنعان أبوكِ أموري **وأمِّك حثيَّة**» (حز١٦: ٣)، «هوذا كل ضارب مَثَل يضرب مَثَلاً عليكِ قائلاً **مثل الأم بنتها**. **ابنة أمك أنتِ** الكارهة زوجها وبنيها. وأنتِ أخت أخواتكِ اللواتي كرهنَّ أزواجهنَّ وأبناءهنَّ. **أُمكنَّ حثيَّة** وأبوكنَّ أموري» (حز١٦: ٤٤ ـ ٤٥). فإنهم ليسوا من نسل هذيْن الشعبيْن، إنما دُعوا أولادًا لهما بسبب تشبههم بشرهما. لقد جاروهما في عباداتهما الباطلة للأوثان حتى قال الرب عن أورشليم: «أخذتِ

بنيكِ وبناتكِ الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها طعامًا. أهو قليل من زناك إنكِ ذبحتِ بني وجعلتهم يجوزون في النار لها» (حز١٦: ٢٠ ـ ٢١).

هذا قد أغضب الرب كثيرًا، مما دفعه إلى ترك شعبه، فنجده يقول له: «هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق **أمكُم** التي طلَّقتها أو مَن هو مِن غرمائي الذي بعته إيّاكُم. هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم ومن أجل ذنوبكم **طُلِّقَت أمكُم**» (إش٥٠: ١). فدفع الرب شعبه للسبي، تأديبًا له، مما جعل إرميا النبي يرثى أورشليم قائلاً: «كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب. كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم. السيدة في البلدان صارت تحت الجزيَّة. تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها ليس لها مُعزٍّ من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها صاروا لها أعداء ... صار مضايقوها رأسًا نجح أعداؤها لأن الرب قد أذلَّها لأجل كثرة ذنوبها. **ذهب أولادها إلى السبي قدام العدو**» (مرا ١: ١ ـ ٢، ٥).

كذلك يقول باروخ النبي: «ونسيتم رازقكم الإله الأزلي وحزنتم مُربِّيتكُم أورشليم. إنها رأت الغضب الذي حل بكم من قِبَل الله فقالت: اسمعن يا جارات صهيون، إنَّ الله قد جلب عليَّ نوحًا عظيمًا. **فإني رأيت سبي بني وبناتي الذي جلبه عليهم الأزلي. إني ربيتهم بفرح ثم ودعتهم ببكاء ونوح** ... بأي شيء أستطيع أن أغيثكم. الذي جلب عليكم الشر هو ينقذكم من أيدي أعدائكم. سيروا يا بني سيروا إني بقيت مستوحشة. قد خلعت حُلَّة السلام ولبست مسح التضرُّع أصرخ إلى الأزلي مدى أيامي. ثقوا يا بني واستغيثوا بالله فينقذكم من أيدي الأعداء المُتسلِّطين عليكم ... قد ودعتكم ببكاء ونوح ولكن الله سيردَّكم لي بفرح ومسرَّة إلى الأبد» (باروخ ٤: ٨ ـ ١١؛ ١٧ ـ ٢١، ٢٣).

ولكن أعطى الله رجاءً لشعبه بالعودة من السبي ولم شملهم مرة أخرى في أورشليم. لذلك يقول إشعياء النبي مُخاطبًا أورشليم: «ارفعي عينيكِ حواليك وانظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليكِ **يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمَل بناتكِ على الأيدي**. حينئذٍ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبكِ ويتسع لأنه تتحوَّل إليكِ ثروة

البحر ويأتي إليكِ غِنَى الأمم» (إش٦٠: ٤ ـ ٥). كما يُعزِّي إرميا النبي أورشليم قائلاً: «هكذا قال الرب صوت سُمع في الرامة نوح بكاء مُرّ، **راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزَّى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين**. هكذا قال الرب: امنعي صوتكِ عن البكاء وعينيكِ عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملكِ، يقول الرب، فيرجعون من أرض العدو ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب **فيرجع الأبناء إلى تُخُمهم**» (إر٣١: ١٥ ـ ١٧). كما يقول باروخ النبي: «ثقي يا أورشليم فإن الذي سمّاكِ باسمه يعزِّيكِ. ويل للذين جاروا عليكِ وشمتوا بسقوطكِ. **ويل للمدن التي استعبدت بنيكِ ويل للتي أخذت اولادك** ... تطلَّعي يا أورشليم من حولك نحو المشرق وانظري المسرَّة الوافدة عليكِ من عند الله. **ها إن بنيكِ الذين ودعتهم قادمون**. يقدمون مجتمعين من المشرق إلى المغرب بكلمة القدوس مُبتهجين بمجد الله» (باروخ ٤: ٣٠ ـ ٣٢؛ ٣٦ ـ ٣٧).

ولكن على الرغم من عودة المسبيين إلى أورشليم وإعادتهم لبناء الهيكل، إلاّ أن غلاظة قلوبهم ظلَّت كما هي. فرفضوا قبول السيد المسيح كمُخلِّص لهم عندما تجسَّد ليُخلِّصهم وتمادوا في مقاومته حتى قتلوه، كما قتلوا أنبياءه في القديم. نسمعه يقول لهم موجِّهًا كلامه إلى أورشليم: «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسَلين إليها. **كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ** كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (مت٢٣: ٣٧). وعندما رأى الرب ما سيحِلُّ بها من مصاب، بكى عليها قائلاً: «إنكِ لو علمتِ أنت أيضًا حتى في يومك هذا ما هو لسلامكِ ولكن الآن قد أُخفيَّ عن عينيكِ. فإنه ستأتي أيام ويُحيط بكِ أعداؤكِ بمترسةٍ ويحدقون بكِ ويحاصرونكِ من كل جهة. **ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ** ولا يتركون فيكِ حجرًا على حجرٍ لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادك» (لو١٩: ٤٢ ـ ٤٤).

الأمومة كرمز لكنيسة العهد الجديد:

بعدما رفض الرب أورشليم العهد القديم وحكم عليها بالخراب، أسَّس الرب أورشليم العهد الجديد؛ أي كنيسته، كنيسة العهد الجديد. فأصبحت هي أمَّنا الروحيَّة، عروس المسيح. لقد تنبأ في القديم إشعياء النبي عنها قائلاً:

«ترنَّمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنُّم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب. أوسعي مكان خيمتكِ ولتبسطِ شقق مساكنكِ لا تمسكي أطيلي أطنابكِ وشدِّدي أوتادكِ. لأنكِ تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلكِ أممًا ويعمر مدنًا خربة» (إش٥٤: ١ ـ ٣). لقد تنبأ إشعياء النبي بدخول الأمم في معيَّة الرب، حيث يجمع الكل في واحد فيصيرون تلاميذًا للرب. لذلك يقول: «وكل بنيكِ تلاميذ الرب وسلام بنيكِ كثيرًا» (إش٥٤: ١٣).

وقد وضع بولس الرسول مقارنةً بين كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد. فوضع هاجر وإسماعيل، والعهد القديم، وأورشليم الأرضيَّة واليهود غير المؤمنين في خانةٍ، ووضع سارة واسحق، والعهد الجديد وأورشليم السماويَّة والكنيسة في الخانة الأخرى. ففي هذا التمثيل بمبادلات عجيبة جعل أولاد سارة حسب الجسد (اليهود) يصيرون من الوجهة الروحيَّة نسلاً لهاجر، وأولاد هاجر حسب الجسد (الأمم) يصيرون هم النسل الحقيقي الروحي لسارة. فاليهود انحطّوا إلى أولاد هاجر، في حين أنَّ الأمم تساموا إلى نسل إبراهيم وورثة المواعيد. لذلك فهو يقول: «فإنه مكتوب إنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحُرَّة. لكن الذي من الجارية وُلِد حسب الجسد وأمّا الذي من الحُرَّة فبالموعد. وكل ذلك رمز لأن هاتيْن هما العهدان، أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبوديَّة الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربيَّة ولكنه يقابل **أورشليم الحاضرة فإنها مُستعبدَة مع بنيها. وأمّا أورشليم العليا التي هي أمّنا جميعًا فهي حُرَّة.** لأنه مكتوب افرحي أيتها العاقر التي لم تلد اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخَّض فإنَّ أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج. وأمّا نحن أيها الأخوة فنظير اسحق أولاد الموعد ... **إذًا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحُرَّة**» (غل٤: ٢٢ ـ ٢٨، ٣١).

لقد صارت الكنيسة بمثابة الأم الروحيَّة لنا، والتي تلدنا للرب يسوع بالمعموديَّة. لهذا قال السيد المسيح: «إن كان أحدٌ لا يولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو٣: ٥). فالمعموديَّة هي الرَحِم الذي منه نُولَد

ثانيةً. يشرح ذلك **القديس كيرلس الأورشليمي**، في مقاله العشرين في الأسرار، قائلاً:

"هكذا كما في النزول [في جرن المعموديَّة] كما في الليل لم تروا شيئًا، لكن في الصعود ثانيةً كنتم كمن بالنهار. وفي نفس اللحظة كنتم تموتون وتولدون، وأنَّ مياه الخلاص كانت قبركم **وأمّكم** في وقت واحد"[٤٠].

وبعدما نولد من الكنيسة بالمعموديَّة، نرضع منها غذاء الحياة، الذي هو جسد السيد المسيح ودمه. يشرح ذلك **القديس إيرينيؤس** في كتابه ضد الهرطقات، قائلاً:

"هذا الروح الذي تسلَّمته الكنيسة وأُعطَى لها ونُفِخ فيها، هو المبدأ الحي للاتحاد بالمسيح ... لذلك فهؤلاء الذين لا يشتركون في الروح، **لا يستقون من ثدي أمّهم غذاء الحياة**"[٤١].

إلى جانب ذلك، ننال من الكنيسة كل عناية وتدبير من خلال الأسرار، فنتمتَّع ببركات لا حصر لها. يقول **القديس كليمندس الإسكندري**:

"يقول الكتاب عنّا نحن الأطفال: «على الأيدي تُحمَلون وعلى الركبتيْن تُدلَّلون. كإنسان تعزِّيه أمّه هكذا أعزِّيكم». فإنَّ أي أمٍّ تريد حفظ أطفالها بالقرب منها؛ **هكذا نحن نلتمس ذلك من أمّنا، الكنيسة**. فكل مَن هو ضعيف وصغير يكنُّ إعجابًا وشغفًا وحبًّا لأمّه، لأنه في ضعفه يلتمس المعونة"[٤٢].

علاوة على ذلك، فإنَّ الرب قد كشف لنا أنَّ الكنيسة لن تكون في سلام دائم في وسط العالم، حيث يشنُّ عليها إبليس حربًا ضروسًا. يصف ذلك يوحنا

---

[٤٠] تادرس يعقوب ملطي، *القديس كيرلس الأورشليمي، حياته – مقالاته لطالبي العماد – الأسرار*، ط. ٢ (الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ٢٠٠٦)، ٢٨٧.

[41] *The Ante-Nicene Fathers: Translations of the writings of the Fathers down to A.D. 325,* edit. by: Roberts, Alexander; Donaldson, James; Coxe, A. Cleveland, Vol. I, *Irenaeus Against Heresies*, Book III, ch. XXIV, (Oak Harbor: 1997), 458.

[42] Simon P. Wood, *Christ the Educator*, *op. cit.,* 21.

الرائي في رؤياه قائلاً: «وظهرت آية عظيمة في السماء **امرأة** مُتسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا. **وهي حُبلى تصرخ متمخِّضة ومتوجِّعة لتلد**. وظهرت آية أخرى في السماء هوذا تنين عظيم أحمر... والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابنًا ذكرًا عتيدًا أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد واختُطِف ولدها إلى الله وإلى عرشه. والمرأة هربت إلى البريَّة حيث لها موضع معدّ من الله لكي يعولها هناك ... فأُعطيَّت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية ... **فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حربًا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح**» (رؤ١٢: ١ ـ ٦، ١٤، ١٧).

لقد أعلن السيد المسيح لنا صراحةً بأننا سنواجه ضيقًا في العالم، لكنه بعث الطمأنينة في نفوسنا حينما أضاف: «ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣). سنحزن قليلاً هنا على الأرض ولكننا عندما نراه في مجده ستمتلئ نفوسنا فرحًا. يقول عن ذلك السيد المسيح: «المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد وُلِد إنسانًا في العالم. فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ولكني سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو١٦: ٢١ ـ ٢٢).

رموز سلبيَّة للحَبَل والولادة:

كما استخدم كُتَّاب الأسفار المُقدَّسة صورة الأمومة رمزًا لكل ما هو نبيل، فإنهم قد استخدموه أيضًا لتصوير بعض الأمور السلبيَّة في حياة شعب الله. فنجدهم، امتدادًا لتأديب الله للمرأة في قوله لها: «تكثيرًا أكثِّر أتعاب حَبَلِك بالوجع تلدين أولادًا... » (تك٣: ١٦)، قد استخدموا هذا رمزًا لتأديب الله لشعبه؛ وإشعياء النبي هو الأكثر استخدامًا لهذا الرمز ليُعلِن تأديب الله لهم. فعلى سبيل المثال يقول: «ولولوا لأن يوم الرب قريب قادم كخراب مِن القادر على كل شيء. لذلك ترتخي كل الأيادي ويذوب كل قلب إنسان فيرتاعون. **تأخذهم أوجاع ومخاض يتلوّون كوالدة**» (إش١٣: ٦ ـ ٨)؛ «قد أُعلِنَت لي رؤيا قاسيَّة ... **لذلك امتلأت حقواي وجعًا وأخذني مخاض كمخاض الوالدة**

تلوَّيت حتى لا أسمع، اندهشت حتى لا أنظر» (إش٢١: ٢ ـ ٣)؛ «**كما أن الحُبلَى التي تُقارِب الولادة تتلوَّى وتصرخ في مخاضها هكذا كنّا قدامك يا رب**. حَبَلنا تلوَّينا كأننا ولدنا ريحًا لم نصنع خلاصًا في الأرض ولم يسقط سكان المسكونة» (إش٢٦: ١٧ ـ ١٨).

كذلك يستخدم بولس الرسول نفس الرمز للتعبير عن مفاجأة اليوم الأخير للأشرار غير المُستعدين له، فيقول: «لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أنَّ يوم الرب كلصٍ في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذٍ يفاجئهم هلاك بغتةً، **كالمخاض للحُبلَى** فلا ينجون» (١تس٥: ٢ ـ ٣).

كما استخدم أيضًا كُتَّاب الأسفار المُقدَّسة نفس الرمز للتعبير عن الشر الذي يُولَد من قلب الإنسان الشرير. فعلى سبيل المثال يتكلَّم سفر أيوب عن الشرير قائلاً: «لأن جماعة الفُجّار عاقر والنار تأكل خيام الرشوة. **حَبَل شقاوة ووَلَد إثمًا** وبطنه أنشأ غشًّا» (أي١٥: ٣٤ ـ ٣٥). كما يقول إشعياء النبي: «ليس مَن يدعو بالعدل وليس مَن يُحاكِم بالحق يتَّكِلون على الباطل ويتكلَّمون بالكذب **قد حَبَلوا بتعب وولدوا إثمًا** ... تعدّينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا تكلَّمنا بالظلم والمعصيَّة حَبَلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب» (إش٥٩: ٤، ١٣).

أمّا يعقوب الرسول فيتكلَّم عن شهوات القلب، التي إن لم نستأصلها مُبكِّرًا، تؤدي بنا إلى فعل الخطية، فيقول: «كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. **ثم الشهوة إذا حَبَلت تلد خطية**» (يع١: ١٤ ـ ١٥). فإننا يجب علينا أن نُصارِع الخطية في طورها الأول وهي تحاول أن تخدعنا، فإن تركناها لتتعدَّى إلى الطور الثاني حيث نقبلها ونرضى بها، فهي تتحوَّل إلى فعل.

لقد طبَّق **يوحنا الدرجي** ذلك في كتابه «السُلَّم إلى الله»، شارحًا مَن هنَّ أمهات الخطايا وأولادهنَّ. فعلى سبيل المثال يقول على لسان **الغضب**:

"أمهاتي هنَّ المجد الباطل، ومحبة الفضة ونَهَم البطن، وأحيانًا الزنا ... وبناتي هنَّ الحقد والبغضة والعداوة والمنازعة" (٨: ٣٥)[٤٣].

وعلى لسان **النَهَم** يقول:

"كيف تبتغون أن تعرفوا أسماء أولادي، وأنا إن أعدّهم فهم أكثر من حبات الرمل؟ ... ابني البكر هو خادم الزنا، والثاني بعده هو قساوة القلب، والثالث كثرة النوم" (١٤: ٤٠)[٤٤].

وعن **الكبرياء** يقول:

"داهمتُ الكبرياء المُضِلَّة المجنونة حال نفاذها إلى قلبي، محمولة على كتفيِّ أمّها، التي هي المجد الباطل. فقيَّدتهما بأغلال الطاعة وضربتهما بسياط الاتضاع ... أمّا أولادنا فهُم ... الغضب، والنميمة، والحقد، والغيظ، والصياح، والتجديف، والمراءاة، والبغضاء، والحسد، والملاججة، وإقامة الهوى والعصيان" (٢٢: ٣٧)[٤٥].

ختامًا:

رأينا كمَّ الرموز التي قد استقاها كُتَّاب الأسفار المُقدَّسة من رمز الأمومة، وما يرتبط به من حَبَل وولادة المرأة، ولا أظنُّ أن في تلك السطور القليلة، نستطيع أن نحصر تلك الرموز جميعها. ولكننا نستطيع أن نقول إنَّ هذه الدراسة هي بمثابة دليل لدراسات أوفى عن هذا الموضوع. فكلمة اللّه عميقة، ولا يحدّها شطآن، فمن أراد أن يغوص في أعماقها سيجد أفاقًا أرحَب للتأمُّل فيها، وستكون لنا بمثابة الغذاء المُشبِع لننموا به، كما يقول بطرس الرسول: «وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به» (١بط٢: ٢).

---

[٤٣] الأب يوحنا السينائي، *السلم إلى الله*، ط. ١ (لجنة التحرير والنشر بإيبارشية سيناء، يناير ١٩٩٨)، ١٦٣.

[٤٤] المرجع السابق، ١٩٥.

[٤٥] المرجع السابق، ٢٥٩.